(التعريف والنقد)
بين العربية والإسبانية

الدكتور أبو القاسم سعد الله

بين العرب والإسبان تاريخ حافل في مجالات العلوم والفنون والآداب، ومنها المجال اللغوي. وأي دراسة جادة في اللغة الإسبانية لاتعترف بتأثير اللغة العربية فيها، أو لاتعثر على قدر مشترك هنا أو هناك يدل على التثاقف الذي كان بين اللغتين، بل بين الشعبين؟.

وليس ماأقدم عليه الدكتور بو علام بن حمودة جديداً كل الجدة في هذا المجال، ولكن ربما يكون من الدراسات الأحدث في العلاقة بين اللغتين العربية والإسبانية. فقد ألف كتابه (الأصل العربي الصحيح)(*) للتعليق على (معجم اللغة الإسبانية) الذي نشره المجمع الملكي الإسباني سنة ١٩٩٤. وصلة الدكتور ابن حمودة باللغة الإسبانية قديمة (ولعلها ترجع إلى أصول عائلية أندلسية شأن كثير من العائلات في الجزائر). فقد تعلم اللاتينية منذ كان طالباً في مرحلة التعليم الثانوي ، فكانت له هذه اللغة هي الأساس في دراسة الفرنسية والإسبانية وغيرهما من فروع اللاتينية الأم. ثم درس الإسبانية وحدها هواية، كما درسها لكونها لغة الملايين في العالم، حسب

(*) عنوان الكتاب الكامل هو (الأصل العربي الصحيح لعدد من الكلمات الإسبانية– دراسة مصحوبة بما ينبغي تصحيحه في معجم المجمع الملكي الإسباني–)، دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٢، ٢٢٠ صفحة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله، ثم لأنها أيضاً ذات صلة وطيدة باللغة العربية. وأثناء مطالعته بالإسبانية كان يجمع من الكتب والصحف وغيرها من وسائل المطالعة مايجعله يرجع إلى بعض المعاجم، ومنها المعجم الحديث الذي أصدره المجمع الملكي الإسباني، كما ذكرنا.

وقد اندهش الدكتور ابن حمودة عندما وجد في هذا المعجم «الرسمي» بعض الغلطات التي تجعل من الصعب، كما قال، التعرف على العلاقة الاشتقاقية للمفردات اللغوية. وعندما تعددت أمامه هذه «الغلطات» حرص على التنبيه عليها لعل أصحاب المعجم المذكور ينتبهون إليها في طبعات قادمة، كما ينتبه إليها من يهمه الأمر من قراء الإسبانية ومن دارسي تطورها التاريخي. عزم الدكتور ابن حمودة إذن على وضع تأليف يضم المفردات اللغوية التي لاحظ الخطأ في اشتقاقها وإرجاعها إلى أصولها. وكان هدفه في ذلك مزدوجاً: تعريف العرب بالأصول الحقيقية للغتهم الباقية في اللغة الإسبانية واطلاع الإسبان أنفسهم على حقيقة ماتضمن لغتهم من كلام العرب حتى يقبلوا على دراسة اللغة العربية لكونها رافداً من روافد اللغة الإسبانية .

وبعد عملية جمع وإحصاء دقيقة انتهى الدكتور ابن حمودة إلى وضع قائمة من حوالي ١١٧٠ مفردة، على أنها عربية الأصل في اللغة الإسبانية، كما وجد ١٦٨٨ من المفردات المشتقة. وقد استغنى عن مفردات أخرى لم تكن علاقة الاشتقاق فيها واضحة، في نظره؛ ولعله هو ، أو غيره، يتحرون ذلك، وينتهي الأمر بوضع قائمة أخرى محققة ، وذكر عدداً من المراجع التي رجع إليها قبل أن يصل إلى الإحصاء المذكور، فبلغت ثلاثة عشر مرجعاً، كلها تقريباً من المعاجم المتعددة اللغات: الإسبانية والعربية والفرنسية واللاتينية والبربرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد بلغت الأخطاء التي عثر عليها الدكتور ابن حمودة ٥٨١ كلمة. (أي حوالي نصف عدد الكلمات الأساسية، حسب قوله). ورأى أن ذلك غير مقبول، لأن المعجم الملكي صادر من «أعلى هيئة لغوية في إسبانيا»، وهو معجم يعود إليه الباحثون ويثقون فيه. وهذه الأخطاء منها مايرجع إلى أصول الكلمات، ومنها مايرجع إلى عدم الدقة في الترجمة، أو إلى الالتباس بين الفصحى والعامية، أو إلى نقل الحروف من العربية إلى الإسبانية. وقد ترتب على ذلك، في نظره، كتابة كلمات لاوجود لها أو ترجمت ترجمة غير دقيقة. وأخيراً لاحظ أن هناك أخطاء ترجع إلى نسيان أو تناسي الأصل العربي للمفردة.

وليس هناك داع للإطالة في ذكر تاريخ التأثير اللغوي العربي على الحياة في إسبانيا ولا ذكر مجالاته لأن الوجود العربي هناك قد امتد قروناً، وظل متواصلاً حتى بعد ١٤٩٢ على يد الموريسكيين Los moriscos وكذلك على يد الذين اعتنقوا الإسلام من الإسبان أنفسهم، كما تواصل في دور الكتب والآثار الثقافية العديدة. لكن الدكتور ابن حمودة يستنتج أن مجالات التأثير، بناء على بحثه اللغوي، شملت المجال الثقافي العلمي، وكذلك الحياة اليومية في إسبانيا بصفة عامة. وقد ظلت دور الكتب توسع هذا التأثير وتعمقه رغم أمر الكاردينال (سيزنيروس) Cisneros بحرق خمسة آلاف كتاب، كما جاء في تأليف الأستاذ (تريرو) المعروف بعنوان (تاريخ إسبانيا)، طبعة ١٩٨٤ .

رتب ابن حمودة فروع المعرفة التي وقع عليها التأثير اللغوي العربي ترتيباً تنازلياً، فكانت أربع عشرة درجة: أولها قطاع الفلاحة والصيد البحري، وآخرها علم الرياضيات. وبين هذا وذاك تأتي علوم وألفاظ الحضارة الشائعة في الحياة اليومية. وهي تتمثل في الصناعات والحرف،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والألبسة والأثاث، والإدارة، والفنون والآداب، والدين، والحرب، والحيوانات، والتجارة، والمعاملات، والأطعمة، والصحة، والتنجيم، والأشغال العامة، وغيرها .

كما رتب الكلمات التي أراد التنبيه عليها ترتيباً أبجدياً حسب اللغة الإسبانية مادام العمل في الواقع، موجهاً إلى أهلها، ولكن الترتيب نفسه يذهب من اليمين إلى اليسار، على الطريقة العربية. ولم يرتب الكتاب حسب الموضوعات، وإنما اكتفى بالإحصاء الإجمالي الذي أشرنا إليه .

* * *

وإليك نماذج من عمل الدكتور ابن حمودة، وهي مأخوذة من حروف أبجدية مختلفة :

1- **كلمة ALCADUZ**:

المعنى: أنبوب الماء .

الأصل العربي : القادوس (إناء في عَجَلَة مستعملة لرفع الماء من الساقية إلى الحقل) .

الكلمة المشتقة : ARCADUZ

ملاحظة : يشير معجم المجمع الملكي الإسباني إلى أن الكلمة العربية أصلها يوناني بينما لم يشر معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى ذلك .

2- **كلمة ALCANZAR**:

المعنى : وصل إلى، أصاب شيئاً .

الأصل العربي: القنطرة.

الكلمات المشتقة : ALCANZADA , ALCANZADO , ALCANZADIZA ... (عشر كلمات).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ملاحظة : إن الاشتقاق متعلق بالمعنى المجسَّد في كلمة القنطرة، إذ إن القنطرة تصل ضفة بضفة وتسمح «بالوصول إليها». غير أن معجم المجمع الملكي الإسباني ينسب الأصل إلى اللفظ الإسباني ENCALZAR (تابَعَ) المشتق من اللفظ اللاتيني INCALCEARE (من CALX الذي يدل على العَقِب). فالأصل العربي أقرب إلى الحقيقة .

3– كلمة CABLE

المعنى : رسلك .

الأصل العربي: حَبْل أو كَبْل (قَيْد) .

الكلمات المشتقة: CABLEGRAFICO , CABLEGRAMA , CABLERO ,CABLERA .CABLEGRAFIAR

ملاحظة : ينسب معجم المجمع الملكي الإسباني إلى الكلمة اللاتينية: CAPULUN (حبل لربط السفينة) لكن معجم لغة قشتالة الإسبانية يصرح بأن الأصل فرنسي وبأن المصدر الأول غير معروف .

ومن جهة أخرى يُعْرب (لامنس) ... عن اقتناعه بالأصل العربي ويذكر كلمتي حبْل وكبْل. فلكل ذلك تمسكنا بالأصل العربي.

4 – كلمة FARRUCO :

المعنى : شجاع، أو نوع من الأغاني الشعبية الإسبانية .

الأصل العربي : فاروق (مَنْ يُمَيِّز بين الحق والباطل) .

ملاحظة : إن معجم المجمع الملكي الإسباني يترجم كلمة «فاروق» بـ «الشجاع»، وهذا غير صحيح .

5 – كلمة TARIMA :

المعنى : منصة، دَكَّة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأصل العربي : طارِمة (سكنى خشبية مقبَّبة) .

الكلمة المشتقة : TARIMON (كلمة مستعملة في ناحية مُرسية) «Murcia» .

ملاحظة : إن معجم المجمع الملكي الإسباني يكتب «طرمية» خطأ .

6 – كلمة ZAHORI :

المعنى : مُتكَهِّن .

الأصل العربي : ساحر .

الكلمة المشتقة : ZAHORIAR

ملاحظة : إن معجم المجمع الملكي الإسباني يعتبر أن الأصل هو لفظ «زُهَري» ويترجمه بـ «خادم الكوكب السيّار الزُّهَرَة» وهذا خطأ جسيم .

* * *

لقد تمنى الدكتور ابن حمودة أن يسهم كتابه في توطيد العلاقات الحضارية التي ربطت بين العرب والإسبان. ونحن بدورنا نتمنى أن ينوه علماء اللغة العربية في المجامع وغيرها بما قام به الدكتور ابن حمودة وأن يضاعفوا من اهتمامهم بالروابط اللغوية بين العربية والإسبانية في هذا العصر الذي تكون فيه اللغة عاملاً بارزاً في التفاهم والتقارب بين الشعوب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net